الفصل الخامس

الدراما والتعليم

لقد أصبحت الدراما في المدارس الأوروبية شكلاً من أشكال الفنون ينمو الأطفال عن طريقها كما صارت فرعاً من فروع الدراسات. إن الأطفال هم مخلوقات بدائية وإن عالمهم نصف سحر وكل ما هو حي لديهم له الشخصية وكل ما ليس حياً قد تدب فيه الحياة في أي وقت. إن أي شيء قد يشكل له تهديداً ومن ثم يجب تهدئته أو التأثير عليه وهذا يأتي عن طريق تقليده أو ضمه إلى النفس وبذلك يصبح في سطوته. إن الصيادين قديماً كانوا يلبسون جلود الحيوانات التي كانوا يريدون اصطيادها كما كانوا يقلدون حركاتهم وكان هذا هو الدراما والرقص.

إن الحركة هي أساس كل عمل في الدراما ، ومن ثم لابد أن نحاول تقرير أهدافها وأيضاً عن طريق الاستدلال أن نعرفها. إن الحركة أولاً تساعد على تحقيق لياقة بدنية وذلك عن طريق تحرك أعضاء الجسم في هارمونية تؤدي إلى صحة جيدة وخفة وحركة ورشاقة. إن الحركة هي إحدى وسائل الاتصال ولا يوجد شخص يستطيع أن يقوم بأي حركة دون أن يوصل شيئاً منها إلى من لهم عيون ليروا بها ، ومن ثم فإن الحركة يمكن أن تكون وسيلة للتعبير عن الآراء سواء بغرض المشاركة في تجربة ما أو لتوصيل آراء إلى الجمهور عادة في صورة أو شكل مزيج من الرقص والمايم والدراما. إن المايم يعد مشابهاً للحركة التعبيرية وليس من السهل أن نحدد أين ينتهي أحدهما وأين تبدأ الأخرى ولعله من القريب إلى

الحقيقة أن نقول أن الحركة التعبيرية تصف آراء وتجارب في شكل مجرد بينما المايم يجب أن ينبع من الداخل ويجب أن تكون الحركة الظاهرية تعبيراً عن شعور أو إحساس داخلي صادق.

إن الدراما هي أحد الفنون التي عن طريق ممارستها ينمو الطفل الأصم وينضج كآدمي ، وعن طريق الجانب الإبداعي للعمل الدرامي يستطيع الأطفال الصم أن ينجبوا مما هو قديم شيئاً مبتكراً جديداً بالنسبة لهم وعن طريق جانبها الشارح في استطاعتهم تنمية تفهم متعاطف مع العالم والناس من حولهم. ويجب علينا أن نحاول تدريب الأطفال الصم بقدر استطاعتنا أن ينظروا بقدر ما يرون وأن يراقبوا بمعرفة الخيال وأن يدركوا ويشاركوا ويربطوا الأشياء بعضها ببعض .

إن الفن هو تعبير عن الحقيقة ومن الضروري أن يجد الأطفال الصم الفرصة للتعبير عن الحقيقة كما يرونها وأن يحاولوا شرح الحقيقة كما يعبر عنها الآخرون، إن أساس الدراما هو الاتصال ، اتصال المؤديين ببعضهم وبالجمهور وبالمؤلف والمخرج وإن أي نوع من الاتصال بين الآدميين وخاصة إذا ما دار حول آراء ذات مغزى قد يقوي العلاقات الإنسانية وهي تحتاج في تطبيقها إلى تعاون حساس بين البشر لأنها مجردة ويمكن توصيل نفس الفكرة عن طريق الحركة أو المايم ولكن بوسائل مختلفة فمثلاً يمكن توصيل فكرة سقوط الطاغية عن طريق قوتهم المتجمعة حتى يسقط على الأرض. ومثل هذا التعبير ينطبق على (مشهد النهاية في عرض الملائكة أيضاً تموت).

إن التعبير الحركي والمايم هما المفهوم الوحيد لدراما الصم ففي المايم والتعبير الحركي لا يعتمد الممثل على الكلام قطعياً.. وإن الدراما تكون بكل تأكيد في أروعها في المدارس الابتدائية للصم وضعاف السمع ، ولو أردنا الكمال فإن

الحركة يجب أن تستمر كجزء منتظم من المقرر. إن الحركة ذات الطبيعة العامة يجب أن تحتوي على خلق آراء وموضوعات درامية أو شبه درامية في صورة حركة أو مايم. إن تعبير الرقص الدرامي له معان مختلفة لدى الأفراد المختلفين فالكثير يرون أن الدراما الراقصة هي التعبير عن موضوع أو فكرة درامية أو غير درامية عن طريق الرقص او الرقص والحركة الدرامية وفي هذا المفهوم تعد شكلاً فنياً قائماً بذاته ولكنه أقرب إلى الرقص منه إلى الدراما. واختيار الموسيقى من الأمور ذات الأهمية الخاصة في هذا الشأن إذ ليس من السهل العثور على موسيقى تثير أفكاراً درامية ، ويجب أن تكون الموسيقى قادرة على توصيل آراء درامية إلى المجموعة كلها إذ أن من مزايا الرقص الدرامي أن مسئولية النتيجة النهائية تعتمد على مدى أداء الأطفال الصم. إن الرقص الدرامي يحتاج إلى تأثير قوي على الخيال ولكي تأتي بقصة وتترجم أحداثها إلى تعبير حركي بمصاحبة قطعة موسيقية لا يقدر المؤدين لها من سماعها فهذا أمر صعب للغاية ويتطلب خبرة ولكي نفعل ذلك فإننا نحتاج إلى شيء من الرؤيا وكثير من الصبر والمغامرة ، وهؤلاء الذين لا يقدرون إمكانيات الأطفال الصم الإبداعية قد يشعرون بصدمة حين يرون أن الأطفال الصم في استطاعتهم فعل ذلك وللوصول بالأطفال الصم إلى المهارة في الأداء فلابد من التدريب الجيد والمستمر ولابد في الأساس من غرس الزمن الإيقاعي بداخلهم وإن النجاح في أي عمل درامي يتوقف على مدى انغماس الأطفال الصم فيه ومدى سرعة تأثرهم بالموقف المتخيل وإذا كان للمايم أو الحركة أن تكون ذات معنى وتعبر عن الحقيقة فلابد وأن تخرج من داخل الطفل الأصم فلابد من وجود الإخلاص والأصالة والجدية لأن كل ما هو مصطنع وزائف سيظهر

في الحال لكل من هو فطن ، وإذا كنت تريد أن تكون شخصاً آخر يجب أولاً أن تكون أنت نفسك.

إن إخراج أو تمثيل دور بطريقة معينة في مسرحية ما يحتاج إلى التصارع مع النص بأكمله لكي نعصر منه آخر قطرة من الحقيقة ثم بعد ذلك التصارع مع النفس (في البروفات) لكي يتم توصيل الحقيقة إلى الأطفال الصم (المؤدين) حتى يستطيعوا هم توصيل الحقيقة إلى الجمهور فيما بعد. فلابد وأن نترك الفرصة لأطفالنا الصم داخل مدارس الأمل للصم ونحضهم على الإبداع وممارسة الرقص والمايم والتعبير الحركي والتمثيل وإذا ما أحسنوا في أداءهم فسيكون شيئاً باقياً وجديراً بالذكر.

تفعيل دور الدراما

يقع على عاتق وزارة التربية والتعليم تفعيل دور الأنشطة التربوية داخل مدارس تعليم الأطفال الصم وذلك بتخصيص ٥٠٪ من عدد الحصص الدراسية للأنشطة التربوية وكذا تخصيص حصص خاصة بالدراما أسوة بالأنشطة التربوية الأخرى كالتربية الفنية والموسيقية والرياضية ، ودعوة المعلمين إلى استخدام الدراما في تعليم الأطفال الصم وهذا الاهتمام بدراما الصم يعود إلى أن مدارس تعليم الصم ليست مكاناً للتعليم فحسب ، ولكنها مؤسسة تربوية أيضاً ولقد تعايشنا طويلاً مع فكرة أن المدرسة مسئولة فقط عن تعليم الأطفال وماتت الأنشطة التربوية وخاصة الدراما ولعله قد آن الأوان لأن نعيد إليها الحياة باعتبارها جزء أساسي في تكوين الإنسان الأصم ، ولابد من أن تحظى الدراما بالاهتمام الخاص داخل مدارس تعليم الصم في ظل البحث الجاد عن تطوير تعليم الصم شكلاً ومضموناً حيث تركز في هذا الجانب على اكتشاف المواهب وتدعيمها وتنميتها والربط بين المقررات الدراسية والدراما. التي يمارسها الطفل الأصم بحب وحرية وإبداع واستمتاع ، ولابد من الإشارة في هذا الصدد إلى الدور الحيوي الذي يجب أن يلعبه التوجيه المركزي للتربية المسرحية لإعداد معلمي الصم وتدريبهم على كيفية استخدام الدراما في التعليم وذلك من خلال تنظيم دورات تدريبية بقاعات التدريب والتعليم عن بعد. كما يجب أن تتطرق هذه الدورات التدريبية إلى تعديل ثقافة المعلمين في نظرتهم المحدودة للدراما.

- ✓ كما ينبغي على الإدارة العامة للتربية الخاصة أن تلعب دوراً أكثر إيجابية وأكثر فاعلية إذ أننا في ظل المتغيرات المحلية والعالمية والثورة الهائلة

لتطوير التعليم تفرض علينا تعديل برنامج البعثة الداخلية لإعداد معلمي التربية الخاصة بأن تتضمن مساحة لتدريب المعلمين على كيفية استخدام الدراما وتعريفهم بأهمية الدراما في تعليم الصم.

- ✓ ويقع على عاتق وزارة الثقافة احتضان مسرح الأطفال الصم الجديد حتى يتحقق للصم الاندماج في المجتمع بشكل حضاري وفي إطار فني وعبر قناة شرعية توفر الدعم والرعاية لهؤلاء الأطفال مما يساعد في خروج الأطفال الصم من قوقعة العزلة والانطوائية والتخلص من الشعور بالدونية وتحررهم من أسر إعاقتهم وفتح أفاق جديدة للتواصل مع المجتمع. فبالفن تتحطم كل الحواجز وتذوب كل العقبات وتتحول الأحلام المستحيلة إلى واقع نعيشه.
- ✓ كما أدعو لإقامة أول مهرجان عربي لمسرح الأطفال الصم ، هذا المهرجان الفريد والجديد على مستوى العالم. أدعو إليه من أجل حرية الطفل الأصم. وفي هذا المهرجان تعقد الندوات واللقاءات لبحث مستقبل الطفل الأصم في عالمنا العربي.

وتتبارى كل فرق الأطفال الصم العربية والغربية وتقدم أروع ما عندها من عروض فنية ، لتتحد القلوب وتتوحد المشاعر من أجل حرية الطفل الأصم والشعور الحقيقي بوجوده وأهميته وبحقه في الحياة.

- ✓ ولن نطالب وزارة الإعلام ببث قناة متخصصة للصم من أجل تسليط الضوء على عالم الصم المجهول والمنغلق ولن نطالب بهذه القناة ولكننا نطالب على الأقل بترجمة أكبر قدر ممكن من البرامج الثقافية والإخبارية

المختلفة حتى يتم تعريف الصم بما يحيط حولهم من أحداث ومتغيرات على المستوى المحلي والعالمي.

- ✓ كما أدعو إلى بث أول قناة متخصصة لتحدي الإعاقة على أن تقسم إلى أقسام مختلفة حسب الإعاقات أي أن يكون بها قسم للإعاقة الذهنية وقسم خاص بالصم وضعاف السمع وقسم خاص بالمكفوفين وقسم خاص بالإعاقة الحركية بحيث تتناول شئون المعاقين كافة من مختلف النواحي الثقافية والاجتماعية ، وتطرح قضاياهم ومشاكلهم بهدف حلها بدلاً من التعاطف الذي لا يغير من واقع المعاقين المؤلم وأدعو إلى صدور المجلات المتخصصة في الإعاقة فلا يعقل ألا يصبح في منطقتنا العربية سوى ثلاث أو أربع مجلات متخصصة في الإعاقة وكلها تصدر من دول الخليج العربي التي أثبتت الريادة والتفوق في هذا الجانب الإعلامي والإنساني.

الدراما وتعليم الأصم

تعمل ممارسة الدراما داخل مدارس الصم لخدمة الأصم في ثلاثة مجالات واضحة :

✓ **المجال التربوي:**

يمارس الصم النشاط المسرحي كوسيلة ترفيهية في قالب تربوي يعمل على ترابطهم الاجتماعي وإدماجهم في المجتمع وبذلك يتحقق عامل التكيف مع النفس والغير، وعن طريق النشاط المسرحي يمكن تكوين علاقات طيبة مع الآخرين ، هذه العلاقات تكون جزءاً هاماً في حياة الأصم حيث أنه أحوج الناس إليها فهي تمده بالثقة في النفس والغير، وتشعره بالتقدير والإحساس بأنه موضع اهتمام الآخرين وليس شيئاً مهمشاً.

كل هذا يعاونه على الاستمرار في المحاولات التي من شأنها الرقي بنفسه وإمكانياته دون يأس وتعاونه على أن يصبح عضواً نافعاً منتجاً للإبداع ، وبالنشاط المسرحي يتعرف الأصم على كيفية التعامل مع الغير والطريقة السليمة لهذا التعامل وبذلك يخرج من عزلته ويتقبل إعاقته برضا تام وبالتالي تزيد خبراته وثقافته ومداركه.

✓ **المجال العلاجي:**

يمكن استثمار النشاط المسرحي في علاج الكثير من المشكلات التي يعانيها الأصم مثله في ذلك مثل العاديين ويلاحظ أن تعرض الصم لمشكلات التكيف يزيد بكثير عن الشخص العادي ولذلك فللنشاط المسرحي أثر فعال في

علاج موقفه فمثلاً الانطواء والخوف من الاندماج مع الآخرين وكذلك الميول العدوانية كل هذه المواقف تعالج وبذلك يصبح مسرح الطفل الأصم وسيلة فعالة لتخفيف الضغوط الداخلية للأصم والتخلص من المشاعر السلبية وتعمل على غرس القيم والاتجاهات البناءة والشعور بالرضا والسعادة. كما أن تحمل الطفل الأصم المسئولية داخل الفريق المسرحي يعالج الكثير من مشاكل عدم الثقة بالنفس والإتكالية.

✓ **المجال الترويحي:**

للترويح أهمية بالغة في إكساب الفرد السعادة وطائفة الصم في حاجة ماسة لهذا الجانب حيث أنه ليس من السهل عليهم الاستمتاع بوسائل الترفيه العادية ، ولذلك يعمل النشاط المسرحي على تحسين العلاقات الإنسانية ومقابلة الاحتياجات النفسية والاجتماعية وزيادة المهارة والخبرة.

الدراما كنشاط تعليمى للصم

الخبرة الدرامية المسرحية هي طريقة لتنظيم المحتوى العلمي للمادة الدراسية وطريقة للتدريس تتضمن إعادة تنظيم الخبرة وتشكيلها في مواقف ، والتركيز على العناصر والأفكار الهامة المراد توصيلها ويقوم التلاميذ الصم بتمثيل الأدوار المتضمنة للموقف وذلك لخدمة وتفسير وتوضيح المادة العلمية من خلال حل موقف المشكلة تحت رعاية وتوجيه المعلم المستمرة.

فالخبرة الدرامية بما تحويه من مواقف وحوار يمكن أن تسهم في جعل المادة العلمية محببة إلى نفوس التلاميذ الصم ويسهل استيعابها وفهمها.

إن التمثيل في مدارس الصم يعتبر من العناصر الهامة في التربية ويمكن تطبيقه كطريقة من طرق التدريس في المواد الدراسية المختلفة.

والمسرحية التعليمية هي تلك التمثيلية التي يكون الهدف الأساسي منها إدخال فكرة معينة في أذهان التلاميذ وأن المسرحية بشكل عام تساعدنا في مواقف كثيرة على توفير الخبرات البديلة وخاصة تلك التي لا يمكن أن نخبرها بالطرق المباشرة مثل الأفكار أو القيم المجردة أو تلك الأحداث التي مضى عليها الزمان وهذه الخبرات البديلة تقرب المتعلم الأصم من الخبرات الحقيقية وبالرغم من أن المسرحية هي تمثيل للشيء وليس هي الشيء الحقيقي نفسه إلا أن لها مكانتها كإحدى الوسائل الهامة للاتصال والتعليم والتربية.

ولابد الأخذ في الاعتبار بالنسبة لمجال تعليم الفنون أن كل تلميذ في حجرة الدراسة سوف يحتاج إلى معالجة فردية في التدريس ، وإذا كان المعلم يعمل في فصل كله من بطيئي التعلم فإن المبدأ ذاته يجب أن يطبق ، حيث لن يستجيب طفلان يعملان بطريقة واحدة ومن هنا يتحتم أن يعد لكل طفل برنامجاً تربوياً على أسس فردية وتتناسب مع احتياجاته واستعداداته الخاصة بالإضافة إلى

ضرورة مراعاة الفروق الفردية والاهتمام بنمو الأصم وشخصيته كفرد أو كحالة مستقلة وتفريد التعليم تبعاً لمتطلبات نموه واحتياجاته التربوية والنفسية الخاصة. فإن البرنامج التعليمي وما يتضمنه من نشاطات أكاديمية وغير أكاديمية وتأهيلية مهنية يجب أن يكفل في جانب منه الاهتمام بنمو الأصم كعضو في جماعة يدرك التزاماته وواجباته إزاءها. كما يسعى إلى الحصول على حقوقه سواء بسواء. أن النشاطات الجماعية وعلى رأسها النشاط المسرحي التي يشارك في ممارستها أكثر من فرد واحد كفريق يوزعون الأدوار فيما بينهم ويدركون أن مسئولياتهم المشتركة من خلالها تكفل لهم فرصاً واسعة للتمرس على التعبير والأخذ والعطاء وتبادل الرأي والتعاون والإقدام والامتثال لصالح الجماعة فضلاً عن أنها تهيئ الفرصة لظهور بعض المواقف والمشكلات التي ربما لا تظهر من خلال الأعمال والخبرات الفردية وتحثهم على مواجهة هذه المشكلات وتبدو قيمة النشاط المسرحي بالنسبة للصم ليس فيما يتمخض عن هذه الانشطة من نواتج فنية وإنما فيما تتضمنه وتكفله من علاقات متبادلة وتفاعلات بين أعضاء الجماعة أثناء ممارستها لا سيما بالنسبة لأولئك الأطفال الذين يعانون من العزلة والانسحاب وسوء التوافق والعدوانية والتمركز حول الذات او الذين يخشى أن تترتب أمثال هذه المظاهر على إعاقاتهم. ويقع العبء الأكبر على المعلم في استغلال ما تكفله تلك المشروعات والأعمال الفنية الجماعية من علاقات وتفاعلات وتوجيهها لمساعدة أعضاء الفريق المسرحي على تحقيق المزيد من الاندماج والنمو الاجتماعي وفي تنمية مهاراتهم الاجتماعية وتعديل سلوكهم المضاد لقيم المجتمع والمعايير الاجتماعية بما يتناسب مع هذه المعايير وذلك لما لهذا الجانب من أهمية فائقة في مساعدتهم على تحقيق التوافق الاجتماعي.

دور الدراما وأثرها على الطفل الأصم

إن الدراما أثناء أدائها وكنقيض لكل الفنون المنتجة للوهم تحتوي بنسبة أكبر من الواقع ويمكن القول أن إحدى مفاتن الدراما وهي تؤدى كونها دمجاً لما هو خيالي محض مع عنصر من الواقع الحي للممثلين. وللدراما تأثير السحر على الطفل الأصم ، فهي قادرة على أن:

★ تثري قدرة الأصم على التعبير عما بداخله ليصبح أكثر قدرة على التأثير في الآخرين وتوجيههم من أجل تلبية احتياجاته وحل مشكلاته.

- تتيح الفرصة للأصم ليجرب مواقف حياتية مختلفة ويضع حلولاً لها ويحاول التكيف معها.
- تعرف الأصم بالآخرين من خلال قيامه بفحص شخصياتهم فيصبح أكثر قدرة على التعامل معهم.
- تخلص الأصم من الكبت والانفعالات الزائدة والضارة.
- تعرف الأصم بالآخرين وبنفسه وبقدراته ومواهبه مما يساعده في تنمية شخصيته.
- ترويض الجسم وتنمي باقي الحواس من خلال الرقص الإيقاعي واللعب الدرامي والتعبير الجسدي الحركي.
- تكسب الأصم الثقة بالنفس وتقوي رابطة الصداقة بينه وبين الأسوياء.
- تنمية الوجدان والتعاون وضبط النفس من خلال تقديمه للدور ومعايشته للمواقف.
- تزيد من معلومات الأصم وتشبع حب الاستطلاع لديه.

- تنمي خيال الأصم وتؤدي إلى الإبداع.
- تنمي التذوق الفني والجمالي والحسي النقدي.
- تنمية قدرة الأصم على تجاوز حدود الواقعية وعلى أن يذهب إلى ما وراء القيود الاجتماعية التي تفرضها عليه إعاقته وبيئته وواقعه الاجتماعي.
- تساعد الأصم على تحقيق رغباته بطريقة تعويضية وعلى تخليص نفسه من الضيق والسخط والغضب والضغوط والتمركز حول الذات.
- إثارة العواطف والأحاسيس المتنوعة لدى الأصم كالإعجاب أو الخوف أو الشفقة.
- إشباع رغبة الأصم في المعرفة بما تقدمه من خبرات متنوعة ومعلومات هامة وأساليب سلوك.
- غرس الأفكار والعادات الجديدة ومحاربة الأوهام والخرافات وتنمية أذواق الصم وتحريك ضمائرهم نحو الخير.
- استخدام عروض الصم كوسيلة لطرح مشكلات هذه الفئة من خلال عروض فنية تحاكي المسئولين والباحثين والمهتمين بشئون الصم.

إن المسرح يحدث جمهوره عن معنى الحياة أنه يحدثهم حديثاً حاداً وحديثاً قاسياً والطفل الأصم ما زالت أمامه حياة حافلة بالعمل المفيد والجوانب المختلفة من التجارب المثيرة ولن تكون هذه الحياة سهلة كالسفينة في البحر الهادئ لذا يجب أن نعده لها ، ويجب علينا أن نريه الحياة كما هي على حقيقتها دون أن نخفي عنه جوانبها المظلمة.